إلى ابنتي العزيزة

مع التحية

عبد المحسن بن عبد الكريم البكر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اقتبس العلماء والصالحون من مشكاة النبوة وصايا عظيمة، تدعو إلى الهدى والرشاد، فمن التواصي بالحق والصبر، إلى التواصي بالنساء خيرًا، وكانت هذه هي الكلمات الأخيرة للرسول ﷺ عندما ودع الدنيا وقال:

«**استوصوا بالنساء خيرًا**» فماذا يعني ذلك؟!

لقد وضع رسولنا الكريم مبدأ كريمًا في معاملة النساء، وتخير أسلوبًا فذًا في توجيه سلوكهن تمثل في أدب تعامله مع نسائه، فهو إمام المرسلين وسيد النبيين وأفضل العالمين، وكان يجاهد في سبيل الله، ما يجاهد، ويلاقي من الأعداء ما يلاقي، ويحمل من هموم الدعوة والناس والحياة ما يحمل، فإذا عاد إلى بيته ارتدى ثوب الزوج الحنون الرحيم، فإذا هو أكرم الناس في بيته، ومن أفكههم مع نسائه، كثير التبسم والمداعبة ، أعذب الخلق كلامًا وأحلاهم منطقًا، يسبي بحديثه الأرواح ويأخذ بالقلوب، ونراه يتناسى (مقام النبوة وجلال الرسالة) وهيبته الفذة بين أصحابه، فيساعد أهله في خدمة البيت، يخصف النعل ويرقع الثوب، ويصلح الدلو ويحلب الشاة، ويميل الإناء للهرة حتى تشرب !! وليس في ذلك غضًا لرجولته وإنما هذا من تمام رجولته، وكمالها، فإذا لم توجد الرجولة عنده فأين نجدها ونأخذها؟!!

ولقد كان يحاول أن يدخل السرور والبهجة على أهله، فهو

مثلا يركب الحسن والحسين، وهما حفيداه وحبيباه، علـــى ظهـــره إرضاء لهما، وهو يحضر بنات الأنصار لعائشة ليلعبن معها، ويـــرى عندها عرائس مختلفة وتلعب بها فلا ينكر ذلك عليها، بل يضاحكها في أمر هذه العرائس ويداعبها، وكان يتلمس الوسائل لإظهار حبه لها، وميله إليها واهتمامه بأمرها فهو مثلاً إذا رآها شربت من إنـــاء وضع فمه في موضع فمها وشرب، وكذلك إذا أكلت من موضـــع أكل منه أو مما جاوره، وكان يتكئ في حجرها، وربما قرأ القـــرآن وهو على هذا الوضع تكريمًا لها وإعزازًا لشأنها ولا عجـــب فهـــو الرؤوف الرحيم..

ومن آدابه العالية أنه كان يدخل على قلب زوجتـــه التـــرويح والتسلية، ويعطيها من الحركة والمتعة مالا يتعارض مع دين أو خلق فها هو ذا مثلا يرى فرقة من أهل الحبشة أمام بيته تلعب بالسيوف وتتمايل في حركات رياضية بريئة، فيأذن لها بأن تتكئ على كتفـــه وتتطلع إلى لعب هؤلاء وبعد مدة يقول لها: حسبك يـــا عائشـــة، فتقول له: لا تعجل!! فينتظر مدة ويقول لها، حسبك، فتقول له: لا تعجل!! وفي الثالثة يقول لها مثل ما قال فتجيبه وقد اكتفت قائلة: نعم !! وتعود إلى داخل حجرتها.. وها هـــو ذا يســـابقها في أول عشرتها معه، وكانت خفيفة اللحم يومئذ نشيطة الحركة، فتسبقه في الجري، وبعد سنوات يدعوها وقد خلوا إلى السباق مرة أخـــرى، وكانت قد امتلأت لحمًا وثقلت حركتها، فشدت درعًـــا علـــى وسطها تأهبًا للسباق، ورسما خطًا وقفًا عليه علامة الابتداء وتسابقًا فسبقها، ثم داعبها قائلاً: هذه بتلك !!

ولا يكتفي صلوات الله وسلامه عليه في دعابته بزوجة دون أخرى، بل هو يداعب الجميع، ويحتمل منهن المراجعة في القول والهفوة من التصرف، ويوجد بينهن إذا تلاقين هذه الروح الصافية المرحة.. صنعت حبيبته عائشة ذات يوم نوعًا من الحلوى يسمى "الحريرة" وجاء إليها الرسول ﷺ وجاءت زوجته الأخرى سودة بنت زمعة ، فقال عائشة لسودة: كُلي !! فقالت سودة : لا أحبه، فقالت عائشة: والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك !! فقالت سودة: ما أنا بذائقة!! فأخذت عائشة بيدها شيئًا من الصحفة فمست به وجه سودة على سبيل المداعبة!! وكان الرسول بينهما فخلَّى الطريق لسودة فتناولت هي الأخرى شيئًا من الصحفة ومست به وجه عائشة، وجعل الرسول يضحك مسرورًا لروح الألفة والمحبة السائدة في أهل بيته الكريم... بل كان كرم الرسول ولطف شمائله وأصالة نبله تظهر حين يُنتظر الغضب ويُخشى الغيظ..

يحدث بينه وبين إحدى نسائه ذات يوم نزاع طفيف فتدفعها موجة الغضب إلى أن تقول له: أنت الذي تزعم أنك نبي !! ومع ما في هذه العبارة من شدة لم يزد إلا أن تبسم ضاحكًا من قولها، فكأنما ألقى على نار الغضب صبيًا من الماء فأحالها إلى رماد!!

فهل يعي ذلك أولئك الرجال القساة الغلاظ الشداد الذين إذا دخلوا بيوتهم فرض فيه حالة من الطوارئ وعدم التجول؟ ! وهل يعي ذلك أيضًا تلك النساء اللاتي انخدعن ببريق الحياة الغربية وزخرفها وكأنها الأنموذج الأوحد في هذا الزمان؟! إنني أدعو الجميع إلى قراءة سيرة الرسول الأعظم والاطلاع على أدب تعامله

مع المرأة: بنتًا وزوجة وأمًا ونحو ذلك، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وكتبه

عبد المحسن بن عبد الكريم البكر

* * *

١- إخلاص النية لله عز وجل في جميع الأحوال:

يا بنيتي: أخلصي نيتك لله عز وجل في جميع أعمالك كلها وأمورك الدينية والدنيوية، فإن الأعمال تتكيف بها وتكون بحسبها قوة وضعفًا وصحة وفسادًا، ألم تسمعي إلى قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وقوله سبحانه ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] وقول النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» وقوله ﷺ «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

يا بنيتي: إن الذي يترك الأكل والشرب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الصوم كالذي يتركهما لأنه لم يجدهما، لكن الأول له أجر الصائم، و الثاني ليس له ذلك الأجر، فأخلصي النية لمولاك في جميع أعمالك.

يا بنيتي: إذا دخلت مدرستك أو جامعتك دراسة أو مدرسة فاستحضري النية الصالحة الخالصة فلا يكن همك نيل الشهادة والتفاخر بها بين الأقران، وإنما قفي متساءلة: لماذا أدرس وأتعلم؟ أليس لأرفع الجهل عن نفسي وأعبد الله على بصيرة وأنفع أمتي، فالأمم إنما تترقى وترتفع بكثرة المتعلمين فيها، وإن كنت- يا بنيتي- معلمة فاللهَ اللهَ لا يكن همك المرتب الشهري فحسب !! وإنما تذكري على الدوام أن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير مهما اختلفت تخصصاتهم، وأن المعلم يستغفر له كل شيء حتى

الحيتان في البحر، ثم تذكري أن هؤلاء الفتيات اليافعات البريئـــات عرضة لدعاة التغريب والرذيلة فأحســـني تقـــويمهن وتعلـــيمهن، وأنزليهن منك منزلة البنت الحبيبة كما لو كن من بناتـــك الـــلاتي أمرت بتربيتهن وتهذيبهن..

يا بنيتي: استحضري النية الصالحة في طعامك وشرابك بقصد التقوي على طاعة الله وكذلك في نومتك، حتى دخولـــك عـــش الزوجية ينبغي أن يكون لله أيضًا فإن القصد الأسمى من الزواج هو إحصان النفس عن الوقوع في الحرام ، وتكوين أسرة وبيت مســـلم يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

يا بنيتي: أكثري في نيتك من فعل الطاعات؛ وذلك بأن تقولي في نفسك: سأعود نفسي قيام الليل وحفظ القرآن الكريم وصـــيام الاثنين والخميس، وإذا رزقني الله مالا فسوف أبـــني مســـجدًا أو أخصص منه جزءًا للفقراء والمساكين وسأصل قرابتي، وأحسن إلى جيراني وهكذا.. فالمطلوب هنا هو الهم بفعل الحسنة حـــتى لـــو لم تفعلي لأنك إذا لم تفعلي كتبت لك حسنة، يقول ﷺ «**من هـــم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة**» فبمجرد الهم الصالح كان العمل صالحًا يثبت به الأجر وتحصل به المثوبة وذلك لفضيلة النية الصالحة.

يا بنيتي: إن النية ليست مجرد لفظ باللسان (اللهم إني نويـــت كذا) ولا هي حديث نفس فحسب، بل هي انبعاث القلب نحـــو العمل الموافق لغرض صحيح من جلب نفع أو دفع ضر حالاً أو مآلًا كما هي الإرادة المتوجهة تجاه الفعل لابتغاء رضا الله تعالى أو امتثال

أمره..

قال لبيد بن ربيعة كلمات هي أشعر كلمات قالتها العرب:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن أنثى لو تطاول عمره إلى الغاية القصوة فللقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يومًا سيعرف سعيه إذا حصلت عند الإله الحصائل

يا بنيتي: عودي نفسك احتساب الأجر على الله والنية الصالحة في كل شيء؛ تفوزي وتسعدي برضا الله وجنته، يقول بعض السلف الصالح رحمهم الله: «إني لأحتسب على الله عز وجل نومتي وقومتي» ولنختم هذه الوصية بهذا الحديث الشريف حيث يقول ﷺ: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة رجل اسشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحبه أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك**

فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» ولما بلغ معاوية رضي الله عنه هذا الحديث بكى حتى غشي عليه فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله قال الله عز وجل: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾ [هود: ١٥] فالله الله يا بنية راقبي الله في جميع أمورك، وأصلحي من نيتك، ولا تبتغي إلا وجه الله، ولا ترغبي الثواب إلا من الله.

٢- الوصية بتقوى الله عز وجل:

يا بنيتي: أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهي فعل طاعته واجتناب معاصيه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه من فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، فلقد قال بعض السلف: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ [آل عمران: ١٠٢] هي أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

يا بنية: إن ربك يعلم ما تكنينه في صدرك، وما تعلنينه بلسانك، ومطلع على جميع أعمالك لا تخفى عليه خافية ﴿**قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي**

﴿السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩] ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

فاتقي الله يا بنية واحذري أن يراك على حالة لا ترضيه أو يفقدك في أمر يرتضيه، احذري أن يسخط عليك ربك الذي خلقك ورزقك ووهبك العقل الذي تتصرفين به في شؤونك كيف يكون حالك إذا اطلع عليك أبوك وأنت تفعلين أمرًا نهاك عنه؟ أما تخشين أن يشدد عليك العقوبة، فليكن حالك مع الله أشد من ذلك لأنه يراك من حيث لا ترينه !! فلا تفرطي في شيء أمرك به، ولا تمدي يدك إلى شيء نهاك عنه.

يا بنيتي: إن ربك شديد البطش، شديد العقاب، وأخذه أخذ عزيز مقتدر فاحذريه يا بنية واتقي غضبه وسخطه ولا يغرنك حلمه، فهو سبحانه: «**يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

يا بنيتي: إن في طاعة الله تعالى من اللذة والراحة ما لا يعرف إلا بالتجربة؛ فيا بنية: استعملي طاعة مولاك ولو على سبيل التجربة لتدركي هذه اللذة وتشعرين بهذه الراحة، وبعدها ستعلمين إخلاصي وصدقي لك في النصيحة.

يا بنيي: إنك ستجدين في طاعة الله ثقلاً على نفسك أول الأمر، فاحتملي هذا الثقل، واصبري عليه، حتى تصير الطاعة عندك من العادات التي تألفينها.

يا بنيتي: اسمعي نصيحتي، واصبري على طاعة الله كما صبرت على التعلم في المدرسة، وسوف تعلمين فائدة هذه النصيحة.

يا بنتي: إياك أن تظني أن تقوى الله هي الصلاة والصيام ونحوهما من العبادات فقط!!

إن تقوى الله تدخل في كل شيء، فاتقي الله في عبادتك لربك ومولاك، ولا تفرطي فيها، واتقي الله في إخوانك وأخواتك، لا تؤذي أحدًا منهم، واتقي الله في أسرتك، لا تشوهي سمعتهم، واتقي الله في نفسك فلا تهملي في صحتك ولا تخلقي إلا بالأخلاق الفاضلة، يقول حبيبنا ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».

يا بنيتي: إن الله تعالى يهدي المتقين ويجعل لهم فرقانًا يفرقون به بين الحق والباطل ، وإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ويجعل له من أمره يسرًا ، ويكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ، وهو سبحانه مع الذين اتقوا وولي المتقين ويحب المتقين ، وإنما يتقبل الله من المتقين ، والبشرى لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويدخلهم الجنة وينجيهم من النار وقد جعل التقوى سببًا للفلاح والنجاح !!

يقول أبو العتاهية:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد
ولله في كل تحريكة ... وتسكينة في الورى شاهد

قال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لوالده:« أعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد لا يضاده في ملكه أحد» .

وأخيرًا استمعي يا بنية إلى وصية رسول الله ﷺ لابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنه: «**يا غلام إني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» فيا لها من وصية ويا له من موص، ويا لك من ماجدة إن أخذت بهذه الوصية.

٣- في حفظ البصر والفرج:

البصر يا بنيتي، من نعم الله العظمى التي أنعم بها على الإنسان لكي يشكرها ويتمتع بها في شؤون حياته ويستعين بها على أمور دينه ودنياه، ولا يعرف قدر هذه النعمة حق المعرفة إلا من ابتلي بذهاب بصره والبصر- يا بنية- أداة خير إذا استعمل فيما شرع له النظر إليه والتفكر فيه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقد يكون وسيلة شر على صاحبه إذا استعمله في المحرمات والنظر إلى العورات وفضول زينة الحياة الدنيا نظرة إعجاب: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] لذا أمر الله المؤمنين بالغض من أبصارهم فقال مخاطبًا لنبيه محمد ﷺ **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾** [النور: ٣٠، ٣١].

يا بنيتي: المرأة الشريفة العفيفة هي التي تغض بصرها عما حرم الله عليها النظر إليه لا سيما ما يعرض عبر الفضائيات من مشاهد التفسخ والعري والانحلال، فالنظرة بمنزلة الشرارة من النار تسري في الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه وبمنزلة السهم من الرمية:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
يسرُّ مقلته ما ضرَّ مهجته ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

قال أبو إدريس الخولاني: «أول ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض حفظ بصره، وقال: لا تضعه إلا في حلال».

يقول ابن القيم رحمه الله: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضِّه مقدمًا على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من النظر، فتكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات.

يا بنيتي: إن من المؤسف له، ما يشاهد في بعض أسواقنا من نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات فاتنات مفتونات ، قد تجردن من الحياة والعفة والشيمة والمروءة بل ومن الإنسانية فأبرزن الوجه والرأس والعنق والذارعين والساقين يخترقن الأسواق يمنة ويسرة من غير خجل ولا حياء، ويشاهد هناك بعض الشباب المغرورين ينخدعون بهذه المفاتن ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] [1].

يا بنيتي: إن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فهؤلاء المهاجرين الأولين الذين هجروا أوطانهم وأموالهم وأحبابهم لله عز وجل عوضهم الله خيرًا ، فآتاهم الرزق الواسع في الدنيا والعز والتمكين، وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام لما اعتزل قومه وأباه وما يدعون من دون الله وهب له إسحاق ويعقوب والذرية الصالحة، بل وجعل في ذريته النبوة والكتاب، وهذا يوسف عليه السلام لما امتنع خوفًا من الله عن الوقوع في الحرام مع امرأة العزيز مع ما كانت تمنيه به من الحظوة وقوة النفوذ في قصر العزيز ورياسته ، وصبر على السجن وأحبه ، وطلبه ليبعد عن دائرة الفساد والفتنة – عوضه الله خيرًا إذ مكن له في الأرض يتبوء منها حيث يشاء ويستمتع فيها بما يشاء مما أحل الله له من الأموال والنساء والسلطان.

---

(١) يخشى على أهل (الموضات) أن يكونوا ممن سن في الإسلام سنة سيئة كما هو الحال في بعض أنواع العباءات والنقاب والموديلات.

وأهل الكهف لما اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله نشر لهم من رحمته وهيَّأ لهم أسباب المرافق والراحة وجعلهم سببًا لهداية الضالين.

ومريم ابنة عمران لما أحصنت فرجها أكرمها الله ونفخ فيه من روحه وجعلها وابنها آية للعالمين.

وهكذا يا بنية من ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى عوضه الله من محبته وعبادته والإنابة إليه ما يفوق لذات الدنيا كلها.

يا بنيتي: إذا رأيت امرأة متبذلة متبرجة فناصحيها وذكريها بالله، واقرئي عليها قول الرسول ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» فالدين النصيحة.. الدين النصيحة.

الدين النصيحة.

٤- في فضيلة الصدق والأمانة:

يا بنيتي: احرصي على أن تكوني صادقة في كل ما تحدثين به غيرك، كحرصك على نفسك ومالك، فإن الكذب شر النقائص والمعايب.

احذري يا بنية أن تشتهري بين أخواتك وصديقاتك بالكذب، فلا يصدقك أحد فيما تقولين وإن كنت محقة، يقول عمر رضي الله

عنه: «**عليك بالصدق وإن قتلك** ».

عليك بالصـــدق ولـــو أنـــه أحرقك الصدق بنار الوعيـــد
وابغ رضا المولى فأغبى الـــورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

يا بنيتي: الصدق عمود الدين وركن الأدب، وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة إلا به، وإن أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه، والموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب، قال عتبة بن أبي سفيان: إذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصـــوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى.

يا بنيتي: إن الله تعالى قد لعن الكاذبين في كتابه العزيـــز فـــلا تكوني منهم، وإذا كذب المرء مرة تعود لسانه الكذب فلا يكـــاد يصدق في حديث ولا في مقال، فاحرصي كل الحرص على تحـــري الصدق فيما يجري على لسانك وإياك أن تقعي في أكذوبة ولو كان فيها هلاك نفسك.«**قل الحق ولو كان مرًا**».

لا يكذب المرء إلا من مهانتـــه أو فعله السوء أو من قلة الأدب

واحذري الوقوع في أمرين لا ينفكان من الكـــذب: كثـــرة المواعيد، وشدة الاعتذار.

ولتعلمي يا بنية أن راوي الكذب أحد الكذابين، فإن رأس المآثم الكذب، وعموده البهتان، قال يحيى بن خالد: رأينا شـــارب خمـــر نزع، ولصًا أقلع، وصاحب فواحش رجع، ولم نر كـــذابًا صـــار صادقًا، وقد قيل: إن بلالاً لم يكذب مذ أسلم رضي الله عنه.

وأما الأمانة –يا بنيتي– فشأنها عظيم، فهي من أجمل ما يتحلى به الإنسان من الفضائل وضدها الخيانة: وهي من أقبح الرذائل التي تشين الإنسان وتحط من قدره.

الأمانة– يا بنية– حلية أهل الفضل وزينة أهل العلم، وهي مع الصدق من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام، وجبريل عليه السلام هو الأمين: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] .

فيا بنية: كوني أمينة ولا تخوني أحدًا في عرض ولا مال ولا في غيرهما، فإذا ائتمنتك إحدى زميلاتك على مالها أو متاعها، فلا تخونيها، وردي إليها حاجتها فورًا متى ما طلبت ذلك.

ومن الأمانة: كتم الأسرار، فلا تفشي سرًا مهما كان إلى أصدق صديق أو أعز عزيز، يقول علي رضي الله عنه:« سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره » ، واعلمي يا بنية أن حفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار، وأن السر إذا جاوز اثنين ذاع وانتشر ، وكوني ممن قيل فيهم:

أجود بمكنون التلاد وإنني ... بسرِّيَ عمن سألني لضنين
وإن ضيع الأقوام سري فإنني ... كتوم لأسرار العشير أمين

ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها، وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وقديمًا قالوا: قلوب الأحرار.. قبور الأسرار.

فيا بنيتي: كوني أمينة في كل شيء، وفي كل صغيرة وكبيرة،

وإياك أن تحدثي نفسك بالخيانة في عظيم أو حقير، فلا تعمدي إلى فتح محفظة زميلتك في غيبتها ولو لمجرد الاطلاع على ما فيها، ولا تمتد يدك إلى أشياء الآخرين ولو من باب الفضول وهم غـــائبون، فإن ذلك من الخيانة، ولا تتجسسي على أخواتك وصديقاتك فإن ذلك من الخيانة، ولا تصغي بأذنك إلى اثنين يتساران فإن ذلك من الخيانة.

يا بنيتي: إياك والمزاح بالخيانة، فلا تختلسي من إحدى زميلاتك شيئًا على سبيل المزاح لترديه إليها إذا تفقدته ، فإن ذلك فيه ترويع لها، كما أنه يدعو إلى سوء الظن بك واقامك بما أنت منه بريئـــة، وربما رسخ في ذهن بعضهم أنك من أهل الريبة، وهيهات أن تنزعي هذا الظن من قلوبهم.

قد قيل مـــا قيـــل إن صـــدقًا وإن كـــذبًا
فمـــا اعتـــذارك مـــن قـــول إذا قيـــل

٥- في جملة من الأخلاق الذميمة:

الغيبة:

يا بنيتي: إن من الأخلاق الذميمة أن يذكر المرء أخاه في غيبته بما يكره أن يسمعه بأذنه، يا بنيتي: لكل إنسان منا عيوب فكما أننا لا نحب ذكر عيوبنا في غيبتنا، فكذلك يجب أن نصون ألسنتنا عن عيوب الآخرين، فاجتنبي الغيبة، يا بنية، ولا تجلسي مـــع آكـــلات لحوم البشر: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

اعلمي **يا بنيتي**: أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارًا في الناس حتى لم يعد يسلم منهم إلا النزر اليسير من النـــاس، وهـــي ذكرك أخاك الإنسان بما يكره، سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو ثوبه أو عباءته أو مشيته أو حركته أو غير ذلك مما يتعلق به ســـواء ذكرته بلفظك أو بكتابتك أو رمزت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك، يقول ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورســـوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: وإن كان في أخـــي مـــا أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه مـــا تقول فقد بهته**».

قالت عائشة رضي الله عنها: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة، تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**» أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمـــه وريحه لكثرة نتنها.

أرأيت **يا بنية** كم نحن غافلون ، وفي هذا الأمر مقصرون ، فإذا كانت هذه الكلمة التي قالتها عائشة رضي الله عنها كلمة فيما يبدو لنا أنها بسيطة ، لأننا نتفوه والله المستعان بأشد منها وأكبر ، ومـــع ذلك فإن هذه الكلمة اليسيرة تنتن البحر بأكمله !! فمـــاذا نقـــول عن بعض النساء، هداهن الله، اللاتي يقذفن أعـــراض الغـــافلات المؤمنات!! وماذا نحدث فنقول عن تلك المجالس التي لم تعمر بذكر الله وما والاه!! وإنما عمرت بالغيبة والافتـــراء علـــى المؤمنـــات الصالحات الغافلات !!

قيل للحسن البصري: إن فلانًا اغتابك، فأهدى إليه طبقًا من رطب، فأتاه الرجل وقال له: اغتبتك فأهديت إلي!! فقال الحسن: أهديت إلي حسناتك فأردت أن أكافئك .

ويقول ابن المبارك رحمه الله: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديَّ لأنهما أحق بحسناتي.

يا بنيتي: إن من تغتاب عندك غيرك لا تأمنيها أن تغتابك عند غيرك، واعلمي يا بنية أن المغتاب إن كان يحرم عليه الغيبة فكذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع إنسانًا يبتدئ بغيبة أن ينهاه، إن لم يخف ضررًا فإن خافه وجب عليه الإنكار، ولو بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، فإن قال بلسانه اسكت.. لكن قلبه يشتهي سماع ذلك! فقد قال بعض العلماء إن ذلك نفاق.

السعي بالنميمة:

يا بنيتي: أصغي إلى قول ربك إذ يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١] وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته، والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس، الطاعن فيهم، قال الحسن البصري هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة، قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة نمام**» ولقد مر ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يتنزه من بول**».

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: النميمة إنما تطلق في الغالب على من ينُّم قول الغير إلى المقول فيه، كقوله فلان يقول فيك كذا، فينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية، وينبغي لمن حملت إليه النميمة وقيل له: قال فيك فلان كذا، أن لا يصدق من نم إليه، لأن النمام فاسق وهو مردود الخبر، وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب، وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] يا بنيتي: اجعلي التثبت من صحة الأخبار منهجًا لك في تحديث الآخرين أو سماع أحاديثهم، لأن آفة الأخبار، أحيانًا، رواتها قال ﷺ «**ألا أخبركم بشراركم**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون العيوب**».

والنميمة **يا بنية**: مستودع الخصال الذميمة فكم من زوجين تطالقا وكم من صفيين تباعدا، وكم من متواصلين تقاطعا، وكم من محبين تهاجرا، وكم من أخوين تفرقا، بل كم من دماء أريقت، وكم من أسر تفرقت ، وكم من عداوات أو قدت بسبب كلمة نمام أثيم.

قال بعض الحكماء: احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون إذا سرق اللصوص المتاع؛ سرقوا المودات، وفي الأمثال السائرة: من أطاع الواشي ضيع الصديق، وقد تقطع

الشجرة فتنبت، ويقطع اللحم بالسيف فيندمل، ولكن اللســـان لا يندمل جرحه، دفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم، وكان مالاً كثيرًا فكتب إليه على ظهرها: «النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جـــبره الله، والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» قال ﷺ : «**لا يُبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**» ولقد أنشد بعضهم فقال:

من نَمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقاربـــه على الصديق ولم تؤمن أفاعِيـــهِ
كالسيل بالليل لا يدري به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيـــه
الويل للعهد منه كيف ينقضـــه والويل للود منه كيـــف يفنيـــه

يا بنيتي: لا تشغلي نفسك بحديث النمامين، ولا تضيعي وقتك في تسمع أخبار السفهاء، وظني الخير بأخواتك وقريباتك، واتهمـــي النمام والجهول، بل وقبحي له عمله، وبغضي له نمه، وقولي له: لا تفسد بيني وبين أخواتي ولا تتبغض إلي صديقاتي، وخـــير لـــك أن تذكر ما يزيد الصلة متانة، وعُرى الإخاء وثاقة ، وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث السوء، ينقل عنك إلى غيرك، فلا تجعليه موضعًا لثقتك، واجعلي وشايته دبر أذنك، والعجيب أن النمام يكثر دائمًا من الحلف ليصدقوه فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِـــيمٍ﴾ [القلـــم: ١٠-١٣].

الحقد والحسد:

يا بنيتي: لا تحسدي أحدًا على نعمة أنعم الله بها عليه دونــك، فلو شاء ربك لأعطاك كما أعطاه، فلا مانع لمـا أعطـى الله، ولا معطي لما منع، فهو المعطي سبحانه.

يا بنيتي: لا يستفيد الحسود من حسده إلا العداوة والبغضـاء، فإنك إذا حسدت أحدًا أبغضك وعاداك، وأبغضك لهـذا الخلـق الذميم كل من عرفك فدعي الحسد يا بنية، ودعي الحقـد علـى إخوانك وأخواتك وعلى الناس كافة، لا تضمري لأحد سوءاً وإذا أساء إليك إنسان ثم اعتذر لك فقابلي معذرته بالقبول وامحي مـن قلبك حب الانتقام منه.

يا بنية: كوني سليمة الصدر من حب الأذى يتودد إليك الناس ويحبوك.

يا بنيتي: الحقد والحسد خلقان خبيثان لا يضران إلا صاحبهما، فلا الحسد ينقل إليك نعمة المحسود، ولا الحقد بضار من أضـمرت له السوء إلا أن يشاء الله. ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٥٤] يقول علي رضي الله عنه: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له، وقيل بئس الشعار الحسد، وقيل لبعضهم: مـا بال فلان يبغضك؟ قال: لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلـد، وشريكي في الصناعة، فذكر جميع دواعي الحسد، قال الفقيه أبـو الليث السمرقندي رحمه الله:" يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود أولها: غم لا ينقطع، الثانية: مصـيبة لا يؤجر عليها، الثالثة: مذمة لا يحمد عليها، الرابعة: سخط الـرب،

الخامسة: يغلق عنه باب التوفيق ".

يحكى أن رجلاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه، وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده، وقال في نفسه: "إن لم احتمل على هذا البدوي في قتله؛ أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني عنه "، فصار يتلطف بالبدوي، حتى أتى به إلى منزله، فطبخ له طعامًا وأكثر فيه من الثوم، فلما أكل البدوي منه قال له: احذر أن تقترب من أمير المؤمنين، فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك، فإنه يكره رائحته، ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين إن البدوي يقول عنك للناس: إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه!! فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشك منه رائحة الثوم. فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال إن الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح. فكتب أمير المؤمنين كتابًا إلى بعض عماله يقول فيه: إذا وصل إليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله، ثم دعا بالبدوي ودفع إليه الكتاب وقال له: امض به إلى فلان، وائتني بالجواب، فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين، وأخذ الكتاب وخرج به من عنده، فبينما هو بالباب إذ لقيه الوزير، فقال: أين تريد؟ قال: أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان، فقال الوزير في نفسه: إن هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل، فقال له: يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار!! فقال: أنت الكبير، وأنت الحاكم، ومهما

رأيته من الرأي افعل، قال: أعطني الكتاب، فدفعه إليه، فأعطاه الوزير ألفي دينار ، وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصد، فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير.

فبعد أيام تذكر الخليفة أمر البدوي ، وسأل عن الوزير ، فأخبر بأن الوزير له أيام ما ظهر!! وأن البدوي بالمدينة مقيم، فعجب من ذلك وأمر بإحضار البدوي فحضر، فسأله عن حاله فأخبر بالقصة التي اتفقت له مع الوزير بما ليس له به علم، وإنما كان ذلك مكرًا منه وحسدًا، وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه ، فقال: يا أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ، ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله، ثم خلع على البدوي ، واتخذه وزيرًا وراح الوزير بحسده.

أيا حاسدًا لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

قال الأصمعي: رأيت أعرابيًا بلغ عمره مائة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك؟! فقال: تركت الحسد فبقيت.

اصبر على حسد الحسود ... فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

وكان عمر رضي الله عنه يقول: نعوذ بالله من كل قدر وافق إرادة حاسد.

يا بنيتي: إذا أنعم الله عليك بنعمة، فاشكري له ولا تتكبري

على خلقه، فإن الذي وهبك هذه النعمة قادر على سلبها منك، وإن الذي حرم غيرك قادر على إعطائه ضعف ما أعطاك، فلا تتعرضي لغضب الله تعالى بالتكبر على عباد الله، فإن الله لا يحب المتكبرين، وإن الجنة لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، نعوذ بالله من ذلك.

يا بنيتي: لا يحملنك الغرور بما أعطاك الله من مال أو جمال أو مكانة اجتماعية على نسيان عبوديتك لله عز وجل، وأنك واحدة من مخلوقاته الكثيرة المتنوعة فلا فضل لك على أحد منهم عند الله إلا بالتقوى ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣] وقال ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**».

يا بنيتي: عوِّدي لسانك شكر الله وحمده بكل نعمة على كل حال: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بالنعم شكر: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ قال أبو هارون: دخلت علي أبي حازم فقلت له: يرحمك الله، ما شكر العينين؟! قال: إذا رأيت بهما خيرًا ذكرته، وإذا رأيت بهما شرًا سترته، قلت: فما شكر الأذنين؟! قال: إذا سمعت بهما خيرًا حفظته، وإذا سمعت بهما شرًا نسيته ، يقول تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧] فقد جعل الله لعباده علامة يعرف بها الشاكر، فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر.

قال بعض الحكماء: من أعطي أربعًا لم يمنع من أربع: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لا يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب، وقال صدقة بن يسار: بينما داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه ، فأنطقها الله تعالى له فقالت: يا داود تعجبك نفسك ، وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك.

يا بنيتي: يصبح على كل سلامي أحدنا صدقة، يعني كل مفصل من مفاصل أجسامنا، وعددها ٣٦٠ مفصلا، وشكر هذه المفاصل بركعتين يركعهما العبد في الضحى، فاحرصي على شكر هذه النعم، وكوني من القليلين الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

٦- في حقوق الوالدين:

يا بنيتي: مهما تكبدت من المشقات في خدمة أمك وأبيك، فإن حقوقهما عليك فوق ذلك أضعافًا مضاعفة ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

يا بنيتي: انظري إلى الطفل الصغير وإلى إشفاق أبويه عليه، واعتنائهما بصحته وطعامه وشرابه وملاذه في ليله ونهاره وصحته وسقمه، تعلمي، بعد ذلك مقدار ما قاسى أبواك في تربيتك حتى

بلغتي هذه المنزلة.

يا بنيتي: إنك في هذه الساعة التي وفقني الله لأن أتولى إرشادك فيها، لا تزالين تتقلبين في نعمة أبيك الذي يواليك بالنفقة بما في وسعه، ولا يضن عليك بما في طاقته؛ فلولا الله وحده ثم أبواك ما استطعت أن تصلي إلى هذه المكانة.

قال لقمان لابنه:" يا بني من أرضى والديه فقد أرضى الرحمن، ومن أسخطهما فقد أسخط الرحمن، يا بني: إنما الوالدان باب من أبواب الجنة، فإن رضيا مضيت إلى الجنات ، وإن سخطا حجبت ".

ولما مات دُر، وكان من الأولياء، قال أبوه عمر بن در: اللهم إني قد غفرت له ما قصر فيه من واجب حقي؛ فاغفر له ما قصر فيه من واجب حقك، فقيل له: كيف كانت عشرته معك، قال: ما مشى معي قط في ليل إلا كان أمامي، ولا مشى معي في نهار إلا كان ورائي، ولا ارتقى قط سقفًا كنت تحته.

وكان علي بن الحسين لا يأكل مع أمه على مائدة، فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها.

وكان عروة بن الزبير يقول في صلاته وهو ساجد: اللهم اغفر للزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر، وكان أبو يوسف الفقيه يقول عقيب صلاته، اللهم اغفر لأبوي ولأبي حنيفة.

وكان طلق بن حبيب من العباد والعلماء، وكان يقبل رأس أمه

، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالاً لهـا، وكـان الفضل بن يحيى أبر الناس بأبيه، فلقد بلغ من بره إياه أنهما كانا في السجن وكان يحيى لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة فلما نام يحيى قام الفضـل إلى قمقـم وملأه ماء، ثم أدناه من المصباح ولم يزل قائمًا وهو في يـده حـتى أصبح. وقال بعض العلماء «ومن وقر أباه طال عمره، ومن وقر أمه رأى ما يسره، ومن أحد النظر إلى أبويه عقهما».

وكان حيوة بن شريح وهو أحد أئمة المسلمين يقعد في حلقته يعلم الناس، فتقول له أمه: «قم يا حيوة فألق الشـعير للـدجاج» فيقوم ويترك التعليم، ولم يقل مثلا: كيف تأمرني وأنا أحمل شهادة الدكتوراه؟ مع أن حيوة هذا من العلماء الفضلاء. ومع ذلك يسمع ويطيع لأمه إذا أمرته.. فسامح الله أبناء زماننا!!

وروي أن الكناني استأذن أمه في الحج مرة فأذنـت فخـرج، فأصاب ثوبه البول في البادية، فقال: إن هـذا لخلـل في حـالي، فانصرف فلما دق باب داره وأجابته أمه ففتحت، فرآها جالسـة خلف الباب، فسألها عن جلوسها فقالت: «منذ خرجت اعتقـدت ألا أبرح هذا الموضع حتى أراك».

ومن عجيب ما روي في بر الوالدين أن رجلاً من بني إسرائيل كان برًا بأبيه، وبلغ من بره بأبيه أن ابتاع لؤلؤة من رجل بخمسين ألفًا، وكان فيها فضيل، فقال للبائع: إن أبي نائم، ومفتاح الصندوق تحت رأسه، فإذا استيقظ قضيتك الثمن، قال: فأيقظه قال: لا أفعل،

ولكني أزيدك عشرة آلاف، فأنظرني حتى ينتبه، قال الرجل: وأنا أحط عشرة آلاف أن أيقظته وعجلت النقد، فقال الابن: وأنا أزيدك عشرين ألفًا إن انتظرت انتباهه، ففعل، و لم يوقظ الرجل أباه فأعقبه الله تعالى ببره بأبيه أن جعل الله عنده البقرة التي نعتها الله في القرآن: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] فأمرهم بذبح بقرة هذه صفتها فلم توجد عند أحد سواه فاشتراها بنو إسرائيل بملء مسكها ذهبًا، وهكذا عقبى الأبرار في الدنيا.

ولله در علي بن الحسين حين قال لولده: إن الله تعالى لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرني منك يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ يقول شيخ كبير في السن واصفًا ابنًا له عاقًا:

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا ... تعل بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنني ... لأعلم أن الموت دين مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
وسميتني باسم المفند رايه ... وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
تراه معدًا للخلاف كأنه ... برد على أهل الصواب موكل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار و لم تكن علي بمال دون مالك تبخل

وصدق رسول الله ﷺ حينما قال: «**لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**» ولقد بين أيضًا أن أكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين.

يا بنيتي: كل إنسان يحب أن يكون رفيع القدر عظيم الجاه محبوبًا عند الآخرين ، ويتمنى أن يكون مقامه فوق كل مقام، لكن الوالدين يحبان لولدهما أن يكون أرفع منهما منزلة وأكبر منهما مقامًا، وأعز منهما جاهًا، فبماذا يجب أن تعاملي من يقدمانك على نفسيهما ويتمنيان لك أكثر منهما ؟!

يا بنيتي: احذري أن تغضبي أبويك، فإن غضب الله مقرون بغضب الوالدين ، ومن غضب الله عليه فقد خسر الدنيا والآخرة.

يا بنيتي: أطيعي والديك، ولا تخالفيهما في شيء إلا إذا أمراك بمعصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ*وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

يا بنيتي: إن أشد الناس حبًا لك هما أبواك اللذان توليا تربيتك صغيرة، وسلكا بك طريق الرشاد في تعليمك وتهذيبك، فاحرصي

على قبول نصائحهما، فهما أدرى منك بما ينفعك وما يضرك، احفظي وصيتي هذه والله يتولي هدايتك وإرشادك وصلاحك فالوالدان من أبواب الجنة، ولن تعرفي قدرهما إلا إذا رزقت بذرية فهنالك تتذكرين.

يا بنيتي: احرصي على صلة رحمك، فقد قال رجل: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**» وقال أيضًا: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» وقال أيضًا: «**الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**».

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري فقال: «مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يجاوروا» قال بعض الحكماء: «الصلة بقاء، والقطيعة مصيبة» وقال عمرو بن دينار: «احذروا ثلاثًا، فإنهن متعلقات بالعرش: النعمة تقول: يا رب كفرت، والأمانة تقول: يا رب أكلت، والرحم: تقول: يا رب قطعت» وقال جعفر بن محمد: «صلة الرحم تهون الحساب» ثم قرأ ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾ [الرعد: ٢١] وقال علي رضي الله عنه: «من ضمن واحدة ضمنت له أربعًا: من وصل رحمه: طال عمره، وأحبه أهله، ووسع له في رزقه، ودخل رحمة ربه» فاحرصي يا بنية على صلة رحمك وإن أساؤوا إليك، فإنك إن فعلت لا يزال لك عليهم من الله ظهير وتذكري على الدوام قول النبي ﷺ «**من أحب أن يبسط له**

في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه».

٧- وصيتي لك قبل الزواج وبعده:

يا بنيتي: اعلمي أن الزواج من سنن المرسلين، لأن بـه بقـاء النوع الإنساني وهو غرض ومقصد ديني ودنيوي ولهـذا قـال ﷺ للذي لم يتزوج النساء: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» ولهـذا فإني أحذرك يا بنية من العزوف عن الزواج بحجة الدراسة أو نيـل الشهادة ودرجتها أو الوظيفة وتبعاتها.

يا بنيتي: احرصي على من يتقدم لك من أهل الدين والخلـق الحسن لأنه إن أحبك أكرمك، وإن أبغضك لم يظلمك أو يهينك، قيل لرجل من الحكماء: فلان يخطب فلانة فقال: أموسر من عقـل ودين؟ ! فقالوا: نعم، قال: فزوجوه إياها.

إن النكاح المبارك هو الذي لا كلفه فيه فوق طاقة الزوج يقول ﷺ: «**أكثر النساء بركة أقلهن مؤنة**» ولا ريب؛ فالكلفة تـذهب الألفة.

يا بنيتي: إن الله تعالى مدح النساء بقوله: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [النساء: ٣٤] قال ابـن جريـر: "حافظات لأنفسهن عند غيبـة أزواجهـن عنـهن في فـروجهن وأموالهم، وللواجب عليهن من حقوق الله في ذلك وغيره" ويزيـد الآية وضوحًا وبيانًا قول النبي ﷺ: «**إذا صـلت المـرأة خمسـها وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، فلدخل من أي أبواب الجنة شاءت**».

وسئل رسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله**» وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**نساؤكم من أهل الجنة: الودود، الولود، العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ثم تقول: لا أذوق غمضًا حتى ترضى**» فتأملي يا بنيتي هذه الأوصاف الجامعة، وامتثليها لتحققي الحياة الطيبة والعيشة الهانئة لك ولزوجك في الدنيا والآخرة.

وإذا قدم لك الزوج الذي ترضينه ، فاحذري كل الحذر من بنيات الطريق.. احذري من دبلة الخطوبة فإنها ليست من عادات المؤمنين، واحرصي كل الحرص أن يخلو حفل زفافك يا بنية من : المنصة (الكوشة) وهي جلوس الزوجة بجانب زوجها أمام النساء، ولا تحضري مغنيات أو مطربات لأن ذلك أمر محرم ومال ضائع، ولا تضعي أشرطة الغناء عبر مكبرات الصوت وكذلك التقاط الصور الفوتوغرافية أو بالفيديو فكم تبع ذلك من حالات طلاق وخصومة، ولا تعمدي إلى الكوافيرات في المشاغل فكم جرت بعض المشاغل من فتن وبلايا عظام.

والله الله في زينتك وملابسك.. فأنت جميلة يا بنيتي فلا تسرفي ولا تغالي في زينتك وملابسك فهي لن تلبس إلا مرة واحدة، ولا تتكلفوا السهر في ليلة الزفاف حتى ساعات الفجر بل وساعات والنهار الأولى، ولا تعبئي بما تسمعينه من المبالغات في حفلات الزواج فإن كثيرًا من القوم لم يحالفهم التوفيق في حياتهم ، حتى إنني سمعت بزواج دقت فيه النواقيس (نواقيس النصارى) وأين؟ في

بلادنا؟! وكانت النتيجة هي الطلاق والله المستعان.. ومن يروم التوفيق في حياته الزوجية، يا بنية، فعليه بالاقتصار على سنة نبينا ﷺ والاقتصاد في النفقات وعدم المبالغة.

فالحياة سهلة وبسيطة.. فما بالنا نعقدها ونعيقها.. ألم يقل الرسول ﷺ: لذلك الرجل: «**التمس ولو خاتمًا من حديد..؟!**» فما بالنا كلفنا الأيام ضد طباعها !! وأردنا المستحيل .

وأختم وصيتي لك بوصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس بنت عوف لما خطبها عمرو بن حجر الكندي فقالت:" أي بنية إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت، و عشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه فكوني له أمة ليكون لك عبدًا، واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخرًا.

فأما الأولى والثانية فالرضا والقناعة، وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فإن شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالإحراز لماله والإرعاء على حشمه وعياله، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمرًا ولا تفشي له سرًا، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإياك ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتمًا، والكآبة لديه إذا كان فرحًا"

فقلبت وصية أمها فأنجبت له الحارث بن عمرو جد امرئ

القيس الملك الشاعر، ولا ريب أن هذه الوصايا من عيون الحكم وخلاصة التجارب.. قال عبد الملك بن مروان لابن أبي الرقاع: كيف علمك بالنساء؟ قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول:

قضاعية الكعبين كندية الحشا   خزاعية الأطراف طائية الفم
لها حكم لقمان صورة يوسف   ومنطق داود وعفة مريم

ولعل المعنى هنا يا بنية، ظاهر لا يحتاج إلى تفصيل، إذ هو ينبه، باختصار إلى أهمية جمال الظاهر والباطن، وجودة اللفظ والمعنى ولقد أجاد وأفاد.

٨- خاتمة الوصايا:

يا بنيتي: أكثري من مدارسة القرآن، واحفظي آياته الشريفة عن ظهر قلب فالذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب كما ثبت ذلك عن الصادق المصدوق ﷺ ، وإذا قرأت القرآن فلا تقرئيه وأنت غافلة عن معناه، وإذا أشكل عليك فهم آية فارجعي إلى كتب التفسير أو إلى أحد العلماء لتتعلمي معناه.

يا بنيتي: شتان بين من يقرأ ولا يفهم معنى ما يقرؤه، وبين من يقرأ ومعاني القرآن الكريم حاضرة لديه: فالأول كالأعمى يمشي في الطريق لا يبصر منها شيئًا ، والثاني كصاحب البصر يتقي ببصره الزلل.

يا بنية: رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه فما أ نزل الله الكتاب العزيز لمجرد التلاوة بلا فهم، ولا لتلاوته مع فهم معناه فقط؛ ولكن أنزله لامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وللتخلق بما تضمنته

آياته الشريفة من الأخلاق الكريمة فاقرئي القرآن بقصد أن تُحلي حلاله، وتحرمي حرامه، وتعملي بحكمه، وتؤمني بمتشابهه ، وامتثال أمره واجتناب نهيه والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، فهذا نبينا الكريم كان خلقه القرآن ويصفه الله ويزكيه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

يا بنيتي: اقرئي القرآن صباحًا ومساء وفي كل وقت ولا تكوني ممن لا يعرف القرآن إلا في رمضان أو في بعض المناسبات.. أو عند الحاجة إلى الرقية أو الامتحانات.

يا بنيتي: إني لأعرف في بلادنا، بعض الصالحات اللاتي يتنافسن على ختم القرآن كل ثلاث ليال؛ بل إن إحداهن لا يمنعها من قراءة القرآن إلا قضاء الحاجة، فإذا التقت الواحدة منهن بصاحبتها قالت لها أين وصلت في قراءتك للقرآن!! وصدق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إذ يقول: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» قال بعض السلف: ما جالس أحد القرآن فقام عنه سالمًا بل إما أن يربح أو أن يخسر ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٨٢]

ولقد خرج النبي ﷺ يومًا على أصحابه فقال:« **ما أجلسكم؟** قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومن علينا به، فقال: **آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟** قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: **أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**»

لقد كفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] ولقد توعد الله المعرضين عنه بقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

يا بنيتي: احرصي – وفقك الله لما يرضيه – على تعلم القرآن وتلاوته بنية خالصة لله تعالى، واحرصي على تعلم معانيه والعمل به لتنالي ما وعد الله به أهل القرآن من الفضل العظيم والثواب الجزيل والدرجات العلى والنعيم المقيم، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تعلموا عشر آيات من كتاب الله تعالى لم يجاوزوهن حتى يتعلموا معانيهن والعمل بهن.

واعلمي يا بنية أنه يستحب قراءة القرآن على أكمل الأحوال متطهرة مستقبلة القبلة متحرية بها أفضل الأوقات كالليل، وبعد المغرب وبعد الفجر، وتجوز القراءة قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا وماشيًا، وراكبًا، في السيارة أو الطيارة ونحوها؛ بل وفي حالة العذر الشرعي «الطمث» جُوِّز قراءة القرآن على الصحيح من قولي العلماء، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] والقرآن أعظم الذكر، فاجعلي القرآن أنيس وحشتك ورفيق خلوتك في كل وقت.

يا بنيتي: حاسبي نفسك على ما فعلت قبل أن يحاسبك مولاك، فإذا خلوت بنفسك عند النوم فاذكري ما صنعت في يومك

وليلتك: لماذا تفوهت بتلك الكلمة؟! ولماذا فعلت ذلك الفعل؟! فإن رأيت خيرًا فاحمدي الله على توفيقه، وإن رأيت غير ذلك فافزعي إلى التوبة والندم، وعاهدي الله على أن لا تعودي، واستغفري ربك كثيرًا لعل الله يقبل توبتك ويغفر حوبتك ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

يا بنيتي: أكثري من الدعوات الصالحات لنفسك ولأبويك ولإخوانك المؤمنين، فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القدر إلا الدعاء ولن يهلك أحد من الدعاء، وتعودي دعاء الله في كل أمر وحاجة لك سواء كانت صغيرة أم كبيرة فإن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرًا ألهمه الدعاء. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء»**.

يا بنيتي: هذه وصايا جمعتها لك وأمحضت فيها نصحي وحبي وإخلاصي لك، فالله الله لا تضيعيها ففيها الخير كل الخير، فلقد أقمت بها الحجة عليك .

وختامًا اسأل الله لك التوفيق والسداد، والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ولا تنسى والديك من الدعاء فهما يدعوان لك كل يوم.

وصلي الله على نبينا محمد.

والدك المحب،،

فهرس الموضوعات

* * *